

روسيا تمضي بثقة في سباق التسليح الجديد

موسكو تتعهد بمواصلة اختبارات الأسلحة الجديدة «حتى النهاية» رغم حادث تجربة صاروخية

بات من المؤكد أن السلاح الجديد الذي انفجر الخميس الماضي في قاعدة تجارب إطلاق صواريخ في الشمال الروسي الكبير، هو نوع جديد من الصواريخ التي تعمل بالدفع النووي، وعلى الرغم من الشكوك الأميركية من عدوى هذه الصواريخ وقدرتها على النجاح، تمضي روسيا في تطوير أسلحتها بأكبر ثقة وتحد وتواصل اختبارات الأسلحة الجديدة، خاصة أن انسحاب واشنطن من معاهدة القوى النووية متوسطة المدى مع روسيا أطلق العنان لسباق تسليح جديد في العالم ومن أبرز منافسيه روسيا والصين على غرار الولايات المتحدة.

● موسكو - يتباهى الكرملين بتفوق روسيا على الولايات المتحدة في سباق تطوير أسلحة نووية حديثة، برغم حادث غامض يتعلق بتجربة صاروخية وقع في شمال روسيا الأسبوع الماضي أسفر عن ارتفاع مؤقت في مستويات الإشعاع. وكان انفجار قد وقع يوم 8 أغسطس الجاري في إقليم أرخانجيلسك بشمال غربي روسيا قد أسفر عن مقتل خمسة من علماء الذرة الروس، خلال اختبار محرر صاروخي باستخدام "مصادر طاقة نظائرية" على منصة بحرية في البحر الأبيض.

وعلى الرغم من أن حادث الانفجار أبان عن ثغرة في برنامج التسليح الروسي، إلا أنه لا يعني فشل روسيا أو أنه سيخني موسكو عن التراجع عن طموحها في هذا المجال. وقد تعهدت موسكو بمواصلة الاختبارات على الأسلحة الجديدة التي كان يطورها العلماء قبل الانفجار "حتى النهاية".

وودع أكبر مسؤول نووي في روسيا، بالنجاح في تطوير أسلحة جديدة في الوقت الذي أشاد فيه بخمسة علماء قتلوا، فيما يستبطن خبراء أميركيون في أنه كان اختراشا فاشلا لصاروخ جديد سبق وأن تفاخر به الرئيس فلاديمير بوتين.

لدى الروس هاجس استحواد الأميركيين يوما ما على أنظمة مضادة للصواريخ تكون قادرة على جعل ترسانتهم بلا جدوى

وبحسب خبراء الأسلحة الأميركيين فإن الانفجار الذي وقع الخميس الماضي مرتبط على الأرجح باختبارات لصاروخ مجنح يعمل بالطاقة النووية وتطلق عليه روسيا اسم ام 9 ام 730 "بوريفيستينك"، وهو أحد الأسلحة الاستراتيجية الجديدة التي وصفها بوتين في بداية العام بأنها "لا تقهر". ويطلق حلف شمال الأطلسي على هذا الصاروخ اسم "أس.أس.سي. أكس-9-سكاى فال".

وتعليقا على الحادثة أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الإثنين، أنه يعلم "الكثير" عن الانفجار الغامض الذي وقع في قاعدة عسكرية روسية، مؤكداً أن الولايات المتحدة تمتلك سلاحا مشابها

سباق التسليح

تعكس حادثة انفجار الصاروخ الروسي حجم مخاطر سباق التسليح النووي الذي أطلقه إنهاء روسيا والولايات المتحدة التزمتهما بمعاهدة واتسحبت الولايات المتحدة رسميا

في الثاني من أغسطس الجاري من معاهدة مهمة للصواريخ النووية كانت قد أبرمتها مع روسيا. لكن موسكو قالت إنها ذريعة للانسحاب من معاهدة تعتقد أن الولايات المتحدة تريد أن تتخلى عنها على أي حال بغية تطوير صواريخ جديدة.

وتفاوض على المعاهدة المبرمة عام 1987 رونالد ريغان الرئيس الأميركي حينها مع الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف. وتحظر المعاهدة على الجانبين وضع صواريخ قصيرة أو متوسطة المدى تطلق من البر في أوروبا مما يقلل من قدرتهما على توجيه ضربات نووية مباغتة.

لكن انتهاء العمل بمعاهدة الأسلحة النووية متوسطة المدى يهدد بإطلاق سباق تسليح جديد بين القوتين. وقد حذر وزير الدفاع الأميركي الجديد مارك إسبر مؤخرا من أن واشنطن "ستفعل ما يصعب في مصلحتها"، بينما توعد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالفعل بنشر صواريخ جديدة.

وفي الواقع، يتطلع البناتاغون إلى إمكانية تحديث ترسانته لمواجهة صعود الصين التي تريد إثبات تفوقها العسكري في آسيا.

وبحسب أرقام نشرها "اتحاد العلماء المهتمين" الأميركي المناهض

للسلاح النووي، فإن حجم الترسانة النووية الأميركية ارتفع إلى 4600 سلاح نووي، منها 1740 منشورة وجاهزة للاستخدام في أي لحظة، و2922 مخزنة. وتملك روسيا عددا مساويا من الرؤوس النووية، غير أن غواصاتها النووية في حالة سيئة، كما ظهر من خلال عدة حوادث أصابتها في السنوات الماضية، كذلك، فإن الصين التي تبحث عن تأكيد تفوقها العسكري في آسيا، مجهزة بصواريخ متوسطة المدى. وبحسب الخبراء، فإن 95 بالمائة من الصواريخ الصينية تحرق معاهدة الصواريخ النووية، فيما لو كانت الصين طرفا فيها.

وباتت واشنطن اليوم بطيئة اليدين وقادرة على منافسة الصين التي تتكون ترسانتها من أسلحة تحظرها معاهدة الحد من الأسلحة النووية متوسطة المدى، والتي لم توقع عليها بكين. ويرى جيفري برايس من جامعة جون هوبكينز أن معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى تصب في صالح الولايات المتحدة، فهي إذ تمنع كل صواريخ أرض-جو ذات المدى المتراوح بين 500 و5500 كلم، سواء كانت باليستية تقليدية أو متوسطة المدى، لكنها لا تشير إلى تلك التي تطلق من طائرات حربية أو غواصات.

ومن الجانب الروسي، لا يأسف الكرملين على التلخص من أداة يعتبر أنها تصب في مصلحة واشنطن. ولا تابه موسكو للاستفزات الأميركية، بل تؤكد أنها تتقدم كثيرا على الولايات المتحدة في تطوير صواريخ تعمل بالطاقة النووية.

كما يستبعد خبراء أن يشكل الانفجار الأخير انتكاسة كبرى للبرنامج الروسي خاصة أنه لم يتضح بعد ما إذا كان قد وقع بسبب فشل في عملية الإطلاق. وعلى العكس من ذلك سيكون نظام الدفع النووي في صاروخ بوريفيستينك، بحسب الرئيس الروسي بوتين، "غير محدود" المدى.

ويرى مدير مركز الدراسات حول الأمن في المؤسسة الفرنسية للعلاقات الدولية كورنتان بروستلان أن الهدف الروسي هو التمكن من تزويد صاروخ بدفع قادر على جعل مسداه غير محدود. وهذا يتيح نظريا التحرر من القيد المتمثل بكمية الوقود التي يستطيع الصاروخ حملها.

وعليه، وعندما يصبح المدى غير محدود يكون بإمكان الصاروخ القيام بالنفاسات لضرب العدو في مناطق مكشوفة، واستخدام مجالات غير الخبراء أن هذه الصواريخ ذات الدفع النووي هي جزء من هذه الترسانة مع والأنظمة المضادة للصواريخ الأميركية.

ويضيف الخبير شارحا دوافع الروس لإنتاج هذا النوع من الصواريخ، "لدى الروس هاجس استحواد الأميركيين يوما ما على أنظمة مضادة للصواريخ تكون قادرة على جعل ترسانتهم بلا جدوى"، مضيفا "الأمر يعود إلى الحرب الباردة وإلى حرب النجوم في عهد رونالد ريغان. الروس يدرسون كل الخبرات المتأكد من قدرتهم على اختراق الدفاعات المضادة للصواريخ الأميركية".

تحديات تقنية

مما لا شك فيه تحمل الرغبة الروسية في التزود بصواريخ تعمل بالدفع النووي بعدا سياسيا مهما وبالنسبة لفلاديمير بوتين فهو يريد أن يثبت أن روسيا تبقى قوة عظمى عسكريا، وأن الروس مزجوا على الدوام بين القوة السياسية والقوة العسكرية. كما يريد لأسباب قومية أيضا التأكيد أن روسيا تطور أنظمة لا تملك الولايات المتحدة مثيلا لها.

وفي مطلع العام الحالي أعلن فلاديمير بوتين بفخر أن بلاده تزودت بصواريخ جديدة "لا يمكن قهرها" ولا اعتراضها ومداهها غير محدود. ويعتقد الخبراء أن هذه الصواريخ ذات الدفع النووي هي جزء من هذه الترسانة مع



سباق تسليح واسع لا يمكن التنبؤ بنتائجه

التأكيد أنها لم تنجز بعد ويمكن ألا يحصل هذا الأمر على الإطلاق. ومن المؤكد أن "السلاح الجديد" الذي انفجر الخميس في قاعدة تجارب إطلاق صواريخ في الشمال الروسي الكبير، هو نوع جديد من الصواريخ التي تعمل بالدفع النووي، ومع ذلك فإن العديد من الخبراء يشككون في القدرة على صنعها وفي الفائدة المرجوة منها. وتبدو التحديت هائلة أمام برنامج التسليح الروسي، إذ لا بد في البداية من النجاح في صنع مفاعل نووي مصغر يكون بالإمكان تحميله على صاروخ، ثم ضمان سلامة العلماء خلال إجراء التجارب على الصاروخ، وبعدها ضمان سلامة العاملين على إطلاق الصاروخ. واعلنت وكالة روستاتوم الروسية النووية أن حادث الخميس وقع داخل منصة بحرية بينما كان خبراء يعملون على الوقود الخاص بمحرك الصاروخ.

ويقول مسؤول سابق في أجهزة الاستخبارات الفرنسية لوكالة فرانس برس طلب عدم الكشف عن اسمه "عند العمل بكل ما يتعلق بالنووي لا بد من ضمان بيئة آمنة تكون عادة شديدة التعقيد". وتابع "يميل الروس إلى استخدام النووي في كل مكان. وهم لا يحترمون كل إجراءات السلامة لأنهم يعتبرونها شديدة التعقيد".

ويضيف كورنتان بروستلان في الإطار نفسه "إن التحديات التقنية المطروحة للمتمكن من تصنيع مفاعل نووي صغير إلى هذا الحد هائلة، وكذلك هي المخاطر التي ترافق التجارب. (...)

الأمر شديد التعقيد مقابل نتيجة مشكوك فيها" مشيرا إلى الدعايات السياسية والبيئية لهذا النوع من السلاح. ووجهته يرى الخبير العسكري الروسي الكسندر غولتز أن نظام الصواريخ الروسية العابرة

"بوريفيستينك" (الذي يعتقد خبراء أميركيون أنه الذي انفجر الخميس) "لا فائدة ترجى منه". وأضاف مشككا "لو أن العلماء الروس تمكنوا بالفعل من صنع طراز جديد من الصواريخ بمحرك لا ينضب الوقود فيه، فسحق ذلك بالتأكيد تفوقا لروسيا على الولايات المتحدة".

ووقع الحادث في منشأة عسكرية في منطقة القطب الشمالي على سواحل البحر الأبيض، إلا أن السلطات الروسية انتظرت حتى السبت لكي تقر بأنه نووي. وأدى الانفجار إلى ارتفاع وجيز في مستوى النشاط الإشعاعي.

ويلفت الخبراء إلى أن هذه الأنظمة الصاروخية الجديدة لها أصولها من المرحلة السوفيتية. وإبان الحرب الباردة كانت مدينة ساروف مركزا للأبحاث السرية وكانت تعرف باسم "أرزاماس-16" وقد صُنعت فيها أولى الأسلحة النووية السوفيتية. واليوم لا تزال ساروف مدينة مغلقة لا يُسمح بدخولها إلا لمن يحملون تراخيص خاصة.

غول الجواسيس حيلة الكرملين لعزل العلماء الروس

وتتناهى هذه الإجراءات التي تتخذها موسكو، مع ما عرفه الاتحاد السوفيتي من زرع لجواسيسه من العلماء لنقل التكنولوجيا الأميركية إلى روسيا التي كانت متأخرة في هذا المجال.

يذكر في هذا الصدد، أنه منذ بداية مشروع مانهاتن الأميركي الذي أسفر عن إنتاج أول الأسلحة النووية، اتجه العديد من العلماء الروس العاملين على هذا البرنامج لنقل معلومات حساسة وخفية للاتحاد السوفيتي الذي كان حينها متأخرا في هذا المجال.

وبناء على أعمال الجوسسة هذه، لُقّب هؤلاء الأشخاص بـ"الجواسيس النوويين"، حيث لعبوا دورا هاما في نقل أسرار التكنولوجيا الأميركية للمعسكر الشرقي، وساهموا بشكل فاعل في حصول الاتحاد السوفيتي على أولى أسلحته النووية.

وكان من أشهر العلماء الجواسيس للاتحاد السوفيتي موريس ولونا كوهين وكلاوس فوكس وهاري غولد وجوليوس وإيتيل روزنبرغ، وكذلك الفيزيائي الأميركي نيدور هول الذي يصف ضمن قائمة أشهر الجواسيس النوويين الذين عرفهم التاريخ.

يمنع العلماء من التواصل مع زملائهم الأجانب إلا بموافقة طرف ثالث. واعتبر مساعد مدير أكاديمية العلوم الروسية اليكسي خولوف الأربعاء أن تلك التوصيات تناقض هدف السلطات جذب المزيد من الطلاب الأجانب إلى روسيا وتسهيل توظيفهم فيها.

وأكد المتحدث باسم الكرملين ديميتري بيسكوف على ضرورة الحفاظ "على اليقظة" لأن "أجهزة الاستخبارات الأجنبية في حالة استنفار".

وأضاف للصحافيين "التجسس العلمي والصناعي أمر فعلي، يتم على مدار 24 ساعة في اليوم وسبعة أيام في الأسبوع، ويستهدف علمانا خصوصا الشباب"، مع إقراره أن بعض التوصيات المنصوص عليها في المرسوم قد تبدو "مفرطة".

وقالت من جانبها وزارة التعليم والبحث إن المرسوم "يعكس ممارسة عالمية" إزاء سلوك العلماء الأجانب. وتخشى الأوساط العلمية الروسية منذ سنوات من النفوذ المتصاعد لأجهزة الأمن القوية في عملها. وأدين العديد من الباحثين بـ"الخيانة العظمى" و"التجسس" في قضايا مثيرة للجدل.

وندد باحثون روس بتلك الإجراءات "العنيفة وغير الواقعية" التي "ستزيد من عزلة" روسيا وتضر بعلمهم. ساعات العمل مع أي زميل من بلد آخر، إلى الحقيبة السوفيتية، حينما كان

ومن استخدامهم للأجهزة الإلكترونية. وتطلب الوزارة كذلك حيازة تصريح مسبق من الإدارة لكل لقاء خارج سياق العمل مع أي زميل من بلد آخر، وكتابة تقرير حول هذا اللقاء.



بوتين يخشى علماء بلاده